آثار العصر الظرّي (١)

لجناب رفعتلو اسعد افندي داغر

عصرٌ ابتداء حضارة الانسانِ   وعروجهِ في سلَّم العمرانِ
عصرٌ بهِ كان التمدن بعدُ في   ريعان فطرتهِ حديث كيانِ
عصرٌ بهِ اصطنع ابن آدم للوغى   والقنص عدَّتهُ من الظرَّانِ
وجميع ما يختارهُ من سائر ال   أدوات فيهِ كانَ من صوّانِ
ما ابصرتْ عينٌ بهِ للكهربا   نورًا بهيًّا ساطع اللمعانِ
كلاَّ ولا صوت البخار المالئ ال   دنيا أتى فيهِ على آذانِ
بل لم يكُ الانسان فيهِ عارفًا   عمل الحديد وصنعة الشبهانِ (٢)
عصرٌ تقادم عهدهُ فمدَّهُ   من أقدم الاعصار والازمانِ
عصرٌ خلا ومضى وايدي الدهر قد   نسجت عليهِ عناكب النسيانِ
قبل ابتدا التاريخ زال فلم نجد   عنهُ لنا فيهِ اقلَّ بيانِ
لكنَّا الآن استدلَّ عليهِ من   آثارهِ في مطلق البلدانِ
أثرٌ على همجيَّةٍ يدعو الى   تعظيم شأن حضارة الانسانِ

يراد بالعصر الظرّي المدة التي فيها استخدم الانسان الظرّ اسلحةً وادوات. وفي المجلد الثامن والثالث عشر من المقتطف يرى المطالع لجناب الكاتب البارع والمؤرخ المحقق رفعتلو جرجي افندي يني بحثًا مشبعًا في هذا الموضوع يروي الغليل ويوليهِ الثناء الجميل. لكنني عثرت الآن في مجلة «غُد وردس» الانكليزيَّة على مقالة في هذا الباب فلخصتها بما يأتي

لقد اكتُشفت آثار استخدام الانسان للظر اسلحةً وادوات في كل جهات الارض تقريبًا كأن الحاجة وهي أُمُّ الاختراع جعلت الانسان في ذلك الحين — حين كان يجهل استعمال المعادن — يستخدم اصلب مادة عرفها ويجعلها في صورٍ لم تزل امثلتها باقية الى الآن. فزرابيق العصر الظرّي وسكاكينهُ ومطارقهُ وفؤوسهُ وانيتهُ وتماثيلهُ ليست مجرد

(١) الظرُّ والظرر والظرارة الحجر او المدور المحدد منهُ او هو حجر لهُ حدٌّ كحد السكين ج ظران. وظرَّ الناقة ذبحها بالظرّ (٢) النحاس الاصفر

بقايا امّةٍ او دولةٍ متوحشة بل شواهد على طفوليّة التمدن الذي مع ارتقائهِ وتدرُّجهِ في اطوار البلوغ والكمال لا يسمهُ الانفصال عن ماضيهِ والاستقلال عما كان فيهِ

ولكن شهرة آثار العصر الظري بين شعوب الارض المتفرقة ليست شيئًا مذكورًا في جنب شيوع الخرافات المتعلقة بهذه البقايا فان الناس عند ما ابتدأُوا يستعملون الشبهان والحديد لم ينسوا المواد الخشنة ٱلَّتي استخدمها اسلافهم بل اخذوا ينظرون اليها باحترام خرافيّ. فالعُدد الصوانيَّة كانت اسلحة عادية مألوفة عند جندي العصر الظري يراها كل يوم لكن اخاهُ جندي عصري الشبهان والحديد لم يعرف حقيقتها فعدَّها ذخائر مقدسة واشياء فائقة الطبيعة. وشيوع هذا المعتقد حتى بين ارقى الشعوب في سلم المدنيَّة من اعوص مسائل السيخولوجيا (البحث عن النفس) ولعلَّ في حلها جلاءً للابهام المكتنف اساطير الماضي وايضاحًا للغموض المطبق على خرافات الحال وليس من غرضنا الآن اظهار تدرُّج هذه المعتقدات الخرافيَّة وشيوعها بل وصف صورها الاصليَّة

واشهر آثار العصر الظرّي النصال الصوّانية فكانَّ استعمال القسيّ عمّ كل اطراف المعمور لأن الانسان في ذلك العصر اضطر الى الصيد والحرب وحيث ترك آثار وجودهِ خلَّف ايضًا شيئًا كثيرًا من بقايا النصال الصوانية او الظرية فالتُقطت من الحقول واكتُشفت في الرجم والاكام كبعض الكنوز المدفونة مع الموتى وفي بلاد الدانمرك وُجدت ناشبة في عظم فك وعل وفي حجاج جمجمة بشريَّة

وشيوع استعمالها في العصور الاولى شبيه بشيوع الاعتقاد في هذه الايام بانها "سهام الجان" و"مزاريق العناريت" رماها الجان لايذاء الانسان والحيوان ولا يزال هذا المعتقد شائعًا في بريطانيا وايرلندا واسوج ونروج وايطاليا وفرنسا . ويذهب قوم آخرون كاليابانيين بأنها تمطر من السماء بجيش من الارواح يخوض عباب الهواء مرة في السنة ايام العواصف والانواء . ولعل هذا الفكر نشأ عما تحققتهُ اكثر من مرة اي ان هذه النصال توجد غالبًا بعد هطول الامطار في اماكن لم تكن فيها بالامس اذ يكون المطر قد جرف التراب من الارض واظهر هذه الآثار المدفونة للعيان

ويعتقد البعض ان لهذه النصال مزية في ازالة الضرر او تحويلهِ ففلاحو ايرلندا وسكوتلندا وانكلترا لا يزالون يعتقدون بان الماء الذي توضع فيهِ "سهام الجان" دواء ناجع للمواشي ٱلَّتي رماها الجان وانها اذا اتخذت تعاويذ وَقَتْ حاملها الخطر وضرر الارواح الشريرة ولاجل هذه الغاية كان يلبسها قدماء المصريين والاترسكانيين ولا

تزال تستعمل كذلك في ايطاليا وبقيت تعلق كتمائم وتعاويذ الى مبتدإ هذا القرن والذين تعاطوا الكهانة والسحر عظّموا شأن هذه الآثار مدّعين أنّ رئيس العفاريت أعدّها لهم لاجل هذه الغاية وأن ضرباتها قاتلة لا سبيل الى اتقائها

وفي " المحاكمات الجنائيّة القديمة " في سكوتلندا يشار الى كثير من هذه الترهات المضحكة فمنها ان السحرة كانوا يصطنعون صورة من طين تمثل الشخص الذي يرومون قتلهُ ويرمونها " بسهام العفاريت " حتى تتمزّق اربًا فيموت ذلك الشخص ولو بعد حين. وبعض الاوقات كانوا يعدلون عن هذه الطريقة الى ما هو افعل منها واعجل فيستنجون الفرصة ويرمون من يبتغون الإيقاع بهِ بهذه السهام عن قوس السبّابة والابهام ناطقين بما ترجمتهُ

" اني رميتكَ رميةً تَمَلِّيَةً مستنجدًا باسمٍ هو الشيطانُ
فهو الضمين إصابة المرمى بلا ريبٍ اذا مُتَّ أيها الانسانُ"

ومن ادوات العصر الظري الفؤوس والمطارق الصوانيّة الكثيرة الوجود في كل الارض تقريبًا من سيبيريا الى زيلندا الجديدة وقلما تختلف في هيئتها وإحكام صنعها عن الفؤوس والمطارق المستعملة في هذه الايام وكثيرٌ منها ماضي الحدّ محكم الصقل بحيث يصعب عليك الظن في أن الانسان يخطئُ المراد بها ومع ذلك لاتعرف في البلدان المتفرقة حيث وجدت بأنها ادوات استخدمت لقضاء حاجات الانسان في عصر خال بل تحسب " صواعق " انقضت مع البرق من السماء . وبهذا الاسم تعرف في اوربا وآسيا ويطلق عليها فوق اسم «الصواعق» اسم « مطارق المطهر » ٱلّتي بها تعالج ارواح الموتى ابواب العالم السفلي محاولة فتحها والانطلاق منها

ومن مزاعمهم ان البيت الذي فيهِ فؤوس حجريّة يوقى من صعقات البرق . والى الآن ترى شعوب شيتلندا وغربي انكلترا واسوج ونروج وجرمانيا وغيرها يحرصون اشد الحرص عليها ولا يفرطون بها لاعتقادهم أنهم في تفريطهم بها يعرضون بيوتهم لخطر الرعود والبروق

وتوضع ايضًا في الصيرلوقاية المواشي زعمًا انها حين تسحق ناعمًا او تكسر قطعًا صغيرة تصير صالحة لشفاء كل ادواء الماشية واحيانًا تستخدم لاستدرار اللبن منها . ولا تزال هذه الخرافات مستفيضة في شمالي انكلترا وشمالي سكوتلندا وغربيها وفي اماكن كثيرة من ايرلندا وفرنسا واسوج وبلغاريا وسويسرا والبرازيل وتوضع في بعض جهات فرنسا

بالماء لاجل تطهيره وتنقيته ويستخدم ماؤها في كورفو علاجاً لداء المفاصل وفي برما علاجاً للرمد

وتوضع الفؤوس الحجريّة في بلاد المجر تحت رؤوس الاطفال قبل عادهم. وفي جهات اسوج يستعان بها على تسهيل الولادة

وكثيراً ما استخدمها الاقدمون عوذاً واحرازاً على صور مختلفة واشكال متنوعة منها مصفّح بالشبهان ومنها مغشّى بالذهب حتى انها بقيت الى عهد التاريخ معدودة اهلاً لأن يتهاداها الملوك ويتنافس باحرازها العظماء ففي سنة ١٠٨١ م كان من جملة ما اهداهُ امبراطور القسطنطينيّة الى هنري الرابع ملك المانيا واحدة منها مغشاة بالذهب. وفي لائحة متحف لورين يشار الى هدية من هذا النوع اهداها سفير فرنسا لامير لورين الذي توفي سنة ١٧٦٠

وعلى بعض هذه الفؤوس نقوش وكتابات منها فأس في معرض اكربوليس في اثينا منقوش عليها صورة رجل وثور وكلب وحيّة ويُظن انها احدى تعاويذ الباسيليديين الذين نشأوا في صدر التاريخ. وأُخرى من مصر على جانبيها اشارة الى مبدإ بعض خوارج النصارى الاقدمين. وفي متحف ابسالا في اسوج فاس حجريّة عليها هذه الحروف L, Th, O, B, التي ربما تشير الى آلهة الشمال الاربعة لوكي وثور واودن وبالدر

وقد تعلق بهذه الآثار الظرية خرافة اخرى كان لها قديماً شأن عظيم في الطقوس الدينيّة وهي ان السكاكين الحجريّة استخدمت استخداماً دينياً عند قوم عرفوا استعمال الشبهان والحديد قبل ذلك بوقت طويل فقد ذكر العالم تيلور ان احدى قبائل افريقية لا تزال الى الآن تقدم مرة في السنة لمعبودها ثوراً مظروراً (اي مذبوحاً بالظر) مع ان لهذه القبيلة معرفة تامة باستعمال الحديد لكنها حريصة جدًّا على هذا التقليد القديم تبرُّكاً وتيمّناً. وليس من ريب في ان احدى قبائل المكسيك كانت تنحر الضحايا بسكاكين شبيهة بالصوان وهي تعرف صناعة الشبهان وبقيّة المعادن

وفي الامكان تأثر شيوع هذه الخرافة بين الاقوام الذين كان لهم نصيب من التمدن. فتاريخ رومية وقرطاجنة ومصر وفلسطين يشير الى كثير من الحوادث المتعلقة بها. ويؤخذ مما رواهُ ليفي وكرنيليوس نيبوس وهيرودتس وديودورس سيكولس ان الرومان كانوا بعض الاحيان يثبتون أيمانهم ويباشرون القتال بتقديم الذبائح مظرورة بحجر من صوّان وان القرطاجنيين امضوا معاهدتهم مع رومية بظر خروف وان

المصريين كانوا عند مباشرتهم التحنيط يشقون الاجساد بظرّ حبشي

وفي التاريخ اليهودي بعض الاشارات الى هذا المعتقد والاستعمال ففي الاصحاح الرابع من سفر الخروج ان «صفورة اخذت صوانة وقطعت غرلة ابنها» وفي سفر يشوع قيل ان «الرب قال ليشوع اصنع لنفسك سكاكين من صوّان وعُدْ فاختن بني اسرائيل ثانية» ومما يليق ذكرهُ ان في الترجمة السبعينيّة اضافة على ما ورد في العبرانيّة من جهة دفن يشوع فانها بعد ذكر دفنهِ في جبل افرايم زادت «هناك دفنوا معهُ في قبرهِ السكاكين الحجريّة الّتي ختن بها بني اسرائيل في الجلجال كما امرهُ الرب ولا تزال هناك الى هذا اليوم»

ومن هنا يتضح ان الختان كان يجري قديماً عند اليهود كما عند المصريين وغيرهم بواسطة سكين من صوان ولم تبطل هذه العادة تماماً حتى الآن فقد قيل ان اليهود يختنون اطفالهم الذين يموتون قبل اليوم الثامن بسكاكين صوانيّة

باب الزراعة

زراعة النيل واستخراج صبغهِ

نبذة تاريخية

طلب الينا جماعة من المزارعين ان نثبت لهم فصلاً مسهباً في زراعة نبات النيل (النيلة) وكيفيّة استخراج الصبغ الازرق منهُ. وقد نشرنا فصلاً مسهباً في هذا الموضوع منذ اثنتي عشرة سنة فلخصنا بعضهُ الآن واضفنا اليهِ ما تتم بهِ الفائدة فنقول

زرع الهنود نبات النيل واستخرجوا الصبغ منهُ من قديم الزمان. ووصل نبأهم الى بلاد اليونان والرومان ثم أُهمل امرهُ في اوربا في القرون الوسطى وحرّمت حكومة المانيا استعمالهُ سنة ١٦٥٤ ملقبةً اياهُ "صبغ الشيطان" وحرّمت حكومة فرنسا استعمالهُ من سنة ١٥٩٨ الى سنة ١٧٣٧ ولم يبح استعمالهُ في كل اوربا الاّ في اواسط القرن الماضي. وقد اعتنى الشهير مُحَمَّد علي باشا بنشر زراعتهِ في القطر المصري وانشأ اماكن لاستخلاص الصبغ منهُ ثم أُهمل امر ذلك كما أُهمل كثير من الاصلاحات الّتي ادخلها في هذا القطر وجُرّبت زراعتهُ ثانية سنة ١٨٨٠ فبلغت غلة الفدان الواحد من الصبغ اكثر من خمس